٣٩ - الغربة صعبة

يقول أحدهم :هناك ثلاثة أشياء يغيرون نظرتك للحياة هم فقدان القريب والغربة والمرض
ويقول آخر : ليست الغربة فقط مغادرة الوطن ، بل هى أيضا مغادرة أوطان صغيرة من حياتنا كقلوب من تحب . كلمات من ذهب تحفرأخدودا في القلب .
يحسدك الكثير من الناس والأصحاب على غربتك ، وأنك هاجرت إلى أرض الذهب . وتركت هذا الوطن بفساده وفقره . حيث لم ينفع معه دواء ولا علاج . فلا علاج إلا بالهجرة وترك الوطن للفاسدين يتنعمون به . تترك أحبتك وأهلك وفلذات كبدك ، كي تحصل على لقمة كريمة. وبيت يأوي أسرتك . وتعاني من الغربة لسنين كثيرة وأنت في حل وترحال، وتجدد آلامك وقهرك عند كل كل زيارة ووداع .

....الغربة مرة والغربة صعبة ،الغربة أن تغيب عن أحبابك ،لاتسمع همسهم ،ولا تجد حلاوة صباحهم .تفقد حلاوة الدنيا ،من أجل مال الدنيا ،تكسب مالا وتخسر أحبة ،تكسب شقاء وتخسر سعادة ،تهاجر النفوس من أوطانها تبحث عن أرزاقها وقوتها ، تترك أوطانها وقلوبها لتنزل في أرض جديدة تظن أنها أرض الذهب..أن تسمع كلام من تحب ،هو أجمل مافي الدنيا ، وتجلس مع من يهوى قلبك هو السعادة ذاتها ،الغربة ضريبة الأوطان المسروقة ،والبلاد المنهوبة ،بلاد تفرض على أبنائها الهجرة من أجل أن يترعرع فيها الفاسدون واللصوص ويحتجون أن بلادهم فقيرة ،لا يوجد فيها عمل ولا رزق ،يجعلون السواد في أعين الناس هؤلاء المغتربون يدفعون ضريبة حياتهم ليسعد من يعيلون ، وليرسموا البسمة لمن يحبون. فكم من أب مات وقد فقد وجود ابن وابنة غابت مشاعرهم عنه . وكم من أم تنام وتستيقظ على أمل عودة الغياب ترقب السماء والطير ، وقلبها مع أرواح سافرت ومهج تناثرت في الأصقاع. وأن الله في عونهم ، ولابد أن يعم العدل يوما في بلادهم ، وتعود خيرات الأوطان لأولادهم .
ويذكرني هنا شاعر الغربة الياس فرحات ، سافر إلى أرض الذهب في المهجر ولم يوفق ، ولم يستطع العودة فتخيل أمه تجلس على شاطىء البحر تنتظر عودته .
فقال في قصيدة شعرية رائعة:

أنفقت عمرك ترقبين رجوعنا وتجـوس كـل سفينـة عينـاك
وتحملين الريح كل رسالـة خرسـاء لقتـها فـؤادك فاك
مامرت النسمات بـي عنـ الضحى إلا عرفت بطيبـها رياك
والبدر لم يظهر لعيني مـرة إلا قـرأت بوجـهه نجـواك

الغربة اختزال للحياة ، هي سنوات من عمرك تمضي من غير سعادة.
قد تحصل على المال والمكانة ولكنك تفقد الكثير من سعادة نفسك .
السعادة الوهمية في الغربة هي محض افتراء على النفس وتعليل كاذب . يقنع بها الإنسان نفسه وذويه كي يصبر النفس في معاناته .من آداب الغربة أن يكون المهاجرأديبا يحترم نفسه والمثل يقول : (يا غريب كن أديب) لأنه يكون ضعيفا ، ليس بين أهله وقومه حيث يشعر بالوحدة والضعف . وعدم قدرته مجاراة أهل البلد . يقول المبرد :

جسمي معي غير أن الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطن
فليعجب التاس مني أن لي بدنـا لاروح فيـه ولـي روح بلابـدن